الإمام علي (عليه السلام) في خطب الإمام الحسن (عليه السلام) وأحاديثه
قراءة تأويلية

أ.د.حاكم حبيب الكريطي

كلية الآداب / جامعة الكوفة

كان الإمام علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ حاضراً في أحاديث الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ وخطبه وأقواله ، بوصفه خليفة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، وبوصفه الإمام والقدوة والأب ثانياً ، وكان حضوره سيرة وعلماً وإيماناً ، سبيلاً الى الرد على الخصوم الذين عاصرهم الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، حينما سعوا جاهدين الى تلبيس الحقائق مع بعضها ، وقلبها إن أمكنهم ذلك ، لينالوا من الإمام علي ــ عليه السلام ــ ، بما يوحي باضطراب فكري وعقائدي شاب بعض العقول والنفوس عصرئذٍ .

وقد انبثق ذكر الإمام علي ــ عليه السلام ــ عند الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ من سابقته في الإسلام ، وجهاده مع النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، من جهة ، ومن حاجة الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ الى هذا السفر الخالد ، ليبطل به الدعاوى المضللة التي روّجها بعض الخصوم من جهة اخرى .

جاء ذكر الإمام علي ــ عليه السلام ــ منتظماً في الموضوعات التي طرقها الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، لغنى هذا الذكر ، ولقدرة الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ على استثماره في المواقف التي احتاج إليه فيها . وقد وضعه في ثوب فني ، ورداء معرفي ، تلقّفه المحبون ، ووقف أمامه الخصوم حائرين ، لوثاقته ، ولقدرة الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ على استثماره فكرياً وعقائدياً وجمالياً بما كشف الغطاء الذي ستر به بعض الخصوم مواقفهم ، وخاصة في المفاخرات التي أضطر الإمام ــ عليه السلام ــ الى الدفاع فيها عن الحق ، ودحض حجج المناوئين .

وبناءاً على هذا ، وجدنا أنّ القراءة التأويلية التي تلتفت الى ما وراء المعنى الظاهر ، بعد أن تهتدي به ، هي الأقدر على كشف ما أراده الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، من ذكر أبيه ــ عليه السلام ــ في أحاديثه ، واستظهار بواطن ذلك الذكر .

و سنعمد هنا الى النأي عن التأويل الذي قد يجهد النصوص بتحميلها مالا ترضاه ، وسنعطف أبصارنا على ما تقدمه اللغة من دلالات ، يبسطها السياق ، الذي سيتكفل بتوجيه مسار فهمنا لتلك الأحاديث ، وسنستعين بالروايات التاريخية التي شكلت الإشارات إليها ركيزة رئيسة من ركائز

الأحاديث ، لأنّ حياة الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، سلسلة من الحوادث التاريخية التي فرضها الخصوم على واقع الحياة الإسلامية عصرئذٍ .

واستناداً الى هذا كلّه ، سينتظم هذا البحث في مباحث صغيرة ، تملأ الاتجاه الذي أردناه ، وتكشف في الوقت نفسه عن الفهم التأويلي للنصوص ، الذي يقدم لنا ضرباً من الإدراك المعرفي ، قد لا يتحقق الإمساك به من خلال القراءة التي تستند الى الظاهر فقط .

السبق في الإسلام :

أشار الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، الى سبق أبيه أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ الى الإيمان بالدعوة الإسلامية ، حينما خطب في أهل الكوفة ، بعد أن بعثه أبوه ــ عليه السلام ــ رسولاً إليهم ومعه عمار بن ياسر ــ رضي الله عنه ــ ، يدعوهم الى الخفوف الى نصرته في حرب الجمل ، فقال : ((... وقد علمتم أنّ عليّاً صلّى مع رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وحده ، وأنه يوم صدق به لفي عاشرة من عمره))[1] .

إنّ نظرة أولى في هذا النّص ، تظهر لنا أنّ الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ كان حريصاً على توجيه المسلمين في الكوفة الى استحضار سيرة الإمام علي ــ عليه السلام ــ في الإسلام ، وهو يدعوهم الى النهوض معه للالتحاق به في معسكره في ذي قار ، قبل مسيرة الى ملاقاة أهل الجمل في البصرة(٢) . فكان ذكر سابقته في الإسلام ركيزة أساسية في هذه الدعوة ، إذ سيوازن من يسمع ذلك ، بينه وبين خصومه ، إذا كان يعرف تاريخهم ، أما من يجهل التاريخ ــ وهم القلة حتماً ــ فسيكتفي بما يسمعه من الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، من تثبيت هذه السابقة التي تجسد رسوخ الإيمان عند علي ــ عليه السلام ــ منذ نأنأة الإسلام ، إذْ يعرف ذلك المسلمون كلّهم ، ولكّن إعادة التوكيد عليها في هذا الموقف ، تقود إلى استنهاض الناس وتنشيطهم وتقويتهم على ما يُراد منهم.

فقوله ــ عليه السلام ــ إنّ الإمام علي ــ عليه السلام ــ صلّى مع رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وحده ، يقرر (السابقة) المشار إليها ـــ قبل قليل ـــ ، إذ قام عمود الدين (الصلاة) بالنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أولاً ، و به ثانياً ، فالصلاة مع النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ آنئذٍ ، تمثل مرتبة الإيمان الأولى حقاً ، لأنّها الإخلاص المطلق لله ولرسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ . ومن صلّى بعد ذلك له فضل ، ولكنّ فضل السابق أكبر عند الله تعالى ، لأنّ هذا السبق لم يكن زمنياً فحسب ، بل هو سبق مقام ومرتبة أرادها الله تعالى لأهل البيت ــ عليهم السلام ــ ولسيدهم علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ.

ويؤكد الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ سبق أبيه ــ عليه السلام ــ في الإسلام في موقف آخر ، استحضر فيه آية قرآنية عضّد بها قوله السابق ، وهي قوله تعالى ((وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ

الْمُقَرَّبُونَ)) الواقعة ١٠-١١ ، فقال : ((فكان أبي سابق السابقين وأقرب المقربين الى الله والى رسوله ، وذلك أنّه لم يسبقه الى الإيمان أحد غير خديجة ــ عليها السلام ــ ، فكما إنّ الله عز وجل ، فضّل السابقين على المتأخرين ، فضل سابق السابقين))[٣] . وعليّ بحق سابق المسلمين جميعاً الى الإيمان ، إذ صحب النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ مذ كان يتحنث في غار حراء قبل البعثة ، وحينما جاء الوحي الى النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، سمع رنّة ، فسأل النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عنها ، فقال : هذا صوت الشيطان آيس من عبادته ، وقد وصف الإمام علي ــ عليه السلام ــ هذه الآنات الربانية التي يشير اليها الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ بقوله ((... ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، فقلتُ يا رسول الله : ما هذه الرنة ، فقال : هذا الشيطان قد آيس من عبادته ، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى))[٤] .

واستناداً الى ما تقدم ، فلعلنا لا نخطئ ــ إن شاء الله ــ إذا قلنا : إنّ مراد الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ من ذكر تفرد أبيه في الصلاة مع النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أول نزول الوحي ، يعني تبصير من غشّى بصره الخصوم بحقيقة إيمان علي ــ عليه السلام ــ ، حتى يسقط من نفسه الموازنة ـــ التي أشرنا إليها قبل قليل ـــ بين الإمام ــ عليه السلام ــ وخصومه في ذلك الوقت ، فينهض لنصرته عن إيمان وثبات في صحة نهوضه وصحة دينه ، ورغبةً في الوصول الى مرضاة الله تعالى بذلك النهوض .

ومضمر آخر يمكن أنْ نتلمسه في قول الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، وهو إنّ الصلاة فرضت مع أول آية نزلت من القرآن الكريم ، ولكن ليس بشكلها الآن ، وقامت بالنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ومعه علي ــ عليه السلام ــ ، ولم تتأخر ـــ كما يذهب الى ذلك بعض المحدثين ، حينما قال : إنها فرضت ليلة المعراج قبل الهجرة بثلاث سنين [٥] . يؤيد هذا الذي نقوله رواية أوردها الشيخ الكليني عن علي بن الحسين ــ عليه السلام ــ يذكر فيها بعض مآثر جده علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ قال ((... ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله ، وسبق الناس كلّهم الى الإيمان بالله وبرسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والى الصلاة بثلاث سنين ، وكنت أول صلاة صلّاها ركعتين ركعتين ، وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يصلّيها بمكة ركعتين ويصليها علي ــ عليه السلام ــ معه))[٦] . وهذا القول يتطابق مع قول الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، إلّا أنّ الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ لم يُشر الى زمن السبق (ثلاث سنوات) التي أشار إليها الإمام علي بن الحسين ــ عليهما السلام ــ ، فإذا استخلصنا سابقة الإمام علي ــ عليه السلام ــ من القولين . ويكون ــ عليه السلام ــ آمن وصلّى قبل المسلمين بثلاث سنين.

وهذا ما تكفل بحمله القول السابق للإمام الحسن ــ عليه السلام ــ [٧] .

وثمة أمر آخر يلفت أنظارنا إليه ، وهو أنّ الحديث الوارد عن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ((لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب))[٨] ، يظهر نفسه أمامنا ونحن نضع هذه الرؤية لحديث الإمام الحسن ــ عليه

ﷺ ــ ، إذ كيف نوفّق بينه وبين ما قلناه من إنّ الإمام علي ــ ﷺ ــ صلّى مع النبي ــ ﷺ ــ مع أول آية نزلت من القرآن الكريم ؟ .

إنّ ما نقوله هنا يستدعي أن تكون فاتحة الكتاب أول ما نزل من القرآن الكريم ، حتى يصلّي بها من الوهلة الأولى ، وحتى يقف العمود الذي يقوم عليه الدين أولاً ((الصلاة عمود الدين))[٩] . وهذا ما كان حقاً ، فقد ورد عن أهل البيت ــ ﷺ ــ أنّ الفاتحة أول ما نزل من القرآن الكريم في مكة ، ثم نزلت مرة أخرى في المدينة وكان هذا سبباً لأنْ تسمّى (السبع المثاني) في قوله تعالى ((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)) الحجر٨٧ ، على رأي كثير من المفسرين [١٠] .

إنّ ارتباط الصلاة بفاتحة الكتاب ، متّن قولنا الذي استظهرناه من قول الإمام الحسن ــ ﷺ ــ ، من أنّها أول ما نزل من القرآن الكريم ويُغرينا برتجيحه على قولين آخرين ، أحدهما جعل ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)) العلق١، أول ما نزل من القرآن ، وثانيهما جعل (المدثر) أول ما نزل ، لأننا لم نجد فيهما ما وجدناه في رواية فاتحة الكتاب [١١] .

وثمة رواية أخرى تعضّد ما استنبطناه تقول ((إنّ رسول الله ــ ﷺ ــ كان يصلّي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ ﷺ ــ معه ، إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه ، فقال : يا بني : صِلْ جناح ابن عمّك ، فلما أحسّه رسول الله ــ ﷺ ــ تقدمهما وانصرف ابو طالب مسروراً وكانت أول صلاة جُمعت ذلك اليوم))[١٢] .

ويبقى القسم الآخر من حديث الإمام الحسن ــ ﷺ ــ ، هو إشارته الى تصديق علي ــ ﷺ ــ بنبوة النبي ــ ﷺ ــ وهو في العاشرة من عمره .

إن الاستقراء الأولي لهذه الإشارة يكشف لنا تمييز الإمام الحسن ــ ﷺ ــ بين التصديق وبين الدخول في الإسلام لذا جعل تصديق الإمام بالنبوة علامة مائزة لإيمانه ، إذ ليس من قلق فكري أو وجداني ، وهو في هذه السن المبكرة على وفق المقاييس الإجتماعية السائدة عصرئذٍ . ومن هنا كانت إشارته ــ ﷺ ــ الى التصديق توكيداً لأنَّ ما بلغه عليّ في عشر سنوات من النضج المعرفي والإدراك العقلي ، أهلّه للتصديق والإيمان قبل أنْ ينزل الوحي ـــ كما مرّ بنا من قبل ـــ ، وحينما نزل الوحي على النبي ــ ﷺ ــ أُعلن تصديق علي ــ ﷺ ــ الذي كان مخفياً قبل البعثة

وقد أشار الإمام علي ــ ﷺ ــ الى تصديقه هذا بقوله ((أنا الصدّيق الأكبر))[١٣].

وظني أن التصديق هنا يعني توحيد القول والعمل على النحو الذي يُبسطه لنا الاستعمال الاجتماعي لـ (صدق) .

جاء في لسان العرب ((الدائم التصديق : ويكون الذي يصدق قوله بالعمل))[١٤]، وعليّ ـــ عليه السلام ـــ قرن إسلامه بالعمل ، فكان تصديقه بالنبوة وصلاته في آن معاً ، لذا وصف نفسه بالصديق الأكبر ، وهو الحق .

وقد أشار القرآن الكريم الى تصديق الإمام علي ـــ عليه السلام ـــ كما نصّ على ذلك كثير من العلماء ، حينما فسّروا قوله تعالى ((وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) الزمر٣٣ ، إذ جعلوا علياً ـــ عليه السلام ـــ هو الذي صدّق به قبل الناس بثلاث سنين[١٥]، وكما مرّ بنا في حديث الإمام علي بن الحسين ـــ عليهما السلام ـــ .

والأمر مرتبط من دون ريب بعناية ربانية ، خُصّ بها علي ـــ عليه السلام ـــ ، ومن هنا يبدو توكيد الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ على عمر أبيه ـــ عليه السلام ـــ مظهراً من مظاهر هذه العناية ، إذ كان ذكره إخبار ممزوج بفخر ، فمن يكون صدّيقاً وهو في هذه السّن أحق أن يُتبع ، وهكذا جعل الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ هذه الإشارة منطلقاً استنهاضياً لأهل الكوفة ، ومنطلقاً معرفياً يُبصّر المترددين منهم ، ويدلّهم على السيرة العلوية ، بعبارات مكثفة ، تنفتح على معانٍ ، يستحضرها السامع بيُسر ، مع أول صلة يعقدها بين كلام الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ ، وتاريخ أبيه ـــ عليه السلام ـــ الذي يعرفه الجميع .

إن ما قدمناه من تصور بخصوص حديث الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ عن سابقة أبيه ـــ عليه السلام ـــ يُعطينا تصوراً عن مراده ـــ عليه السلام ـــ فهذه الإشارات المكثفة التي بسطنا تأويلنا فيها ، تستدعي توارد ما أوردناه والكثير غيره في أذهان المتلقين عصرئذٍ ، لأنّهم يعرفون هذا وأكثر منه لمعاصرتهم لذلك الزمان ، ولوجود عدد كبير من الصحابة الذين يعلمون تفاصيل هذه الأحداث ، وسيتحدثون فيما بينهم ويسمعهم غيرهم ، حال سماعهم حديث الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ .

الأحاديث النبوية في فضل الامام علي ـــ عليه السلام ـــ :

أستند الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ الى الأحاديث النبوية الشريفة التي خصّ بها رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ الإمام علي ـــ عليه السلام ـــ من حيث بيان خلافته ومن ثم مقامه في الإسلام ومنزلته من النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ، بعد أن سعى بعض المرجفين الى وضع الأحاديث التي تقدم آخرين على علي ـــ عليه السلام ـــ ، لينالوا منه ومن الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ .

واستناد الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ الى الأحاديث غالباً ما يأتي ضمن سياقات تحتاج الفكرة فيها الى حديث بعينه ، لأنها تفضي إليه بطريقة يحكمها أهل البيت ـــ عليهم السلام ـــ ، فضلاً عن إنّ الحديث موضع الشاهد ، غالباً ما ينفتح على فضاءات معرفية ، تتيح للمتأمل فيه أن يستنبط منها ما يقوي به عقيدته ودينه ، لو أراد ذلك ، وإن لم يُرد فسيحاصره الحق ، فلا يقوى على مواجهته . ومن

هنا فإننا سننظر في الأحاديث في ضوء هذا التوجه التأويلي ، لنقف منه على بعض من مرامي الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ حينما استشهد بها .

الحديث الأول :

يرتبط الحديث الآتي بابنة حمزة بن عبد المطلب ، التي قدم بها الإمام علي ــ عليه السلام ــ عام الحديبية من مكة الى المدينة فنازعه فيها جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة ، فقال جعفر هي ابنة عمي وخالتها عندي والنساء عورة ، وقال زيد : هي مولاتي وقد آخى رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بيني وبين أبيها ، وأنا أحقكم بها ، فقال الإمام ــ عليه السلام ــ ، هي ابنة عمي ، وقد تركتموها بمكة تضرب ويشتم أبوها وأخوتها وأنا أحقكم بها . فسمع النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كلامهم ، فقال أما أنت يا جعفر فأشبهت خلقي وخلقي ، ثم قال للإمام علي ــ عليه السلام ــ الحديث ((وأما أنت يا علي فمنّي وأنا منك ، وأنت ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي))[١٦] .

إن أول ما يمكن أن نضع أيدينا عليه في هذا الحديث ، إن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، لا يريد بحديثه قرابة الرحم بينه وبين الإمام علي ــ عليه السلام ــ فحسب ، لأنّ جعفر بن أبي طالب شقيق الإمام ــ عليه السلام ــ لأمه وأبيه ، ولم يخصّه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم ــ بهذا القول ، وإنما ذكر له الشبه بالخلق والخُلق بينهما ــ كما مرّ ــ . فلا بد اذاً والحال هذه ، أنْ تكون دلالة الحديث مُفْضية الى دلالة أخرى ـــ غير صلة النسب ـــ على أهميتها ـــ ، وهي التوحّد الروحي والعقائدي والنفسي بين النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والإمام علي ــ عليه السلام ــ ، وهذا يُجلّيه استعمال (من) التبعيضية في نصّ الحديث ، إذ تتحول من تبعيضية الى كلّية ، بدورانها بين النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والإمام علي ــ عليه السلام ــ.

وهذا الضرب من التحول الدلالي غير مألوف إلّا في هذا النمط من التعبير ، إذ يكون الكل بعضاً من الآخر ، والآخر نفسه يكون كلّاً ويكون الكل بعضاً ، وفي حركة دورانية للمعنى بين الطرفين . وهذا التوجيه يُفسره لنا حديث آخر للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ رواهُ سلمان الفارسي ، يقول فيه ((كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله مطيعا ص ، يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه ، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم ، ركز ذلك النور في صُلبه ، فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صُلب عبد المطلب كذا فجزء أنا وجزء علي))[١٧] .

ومضمون هذا الحديث يكشف لنا الحركة الدورانية لمعنى الحديث السابق ، إذ تظهر منه (وحدة الخلق) بين النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والإمام علي ــ عليه السلام ــ ، وهي وحدة روحية ـــ كما أشرنا ـــ ومرتبة ربانية ، شاء الله تعالى أن يجعلها لهذين العبدين ــ صلى الله عليهما وآلهما ــ لأن امامة الإمام وولايته تكمّل نبوة النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وتتمم نعمة الله على عباده .

واستناداً الى هذا كلّه قرّت في أذهاننا ــ إن شاء الله ــ دلالة شطر الحديث الأول ((أما أنت يا علي فمني وأنا منك)) ، ومشروعية هذا التوكيد الذي نتبناه آتية من الحديث الثاني ، لأنه حقّق لنا ما استنبطناه من الحديث الأول ، الذي ظهر فيه أنّ عليّاً ــ عليه السلام ــ قسيم النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في الوجود ، على وفق وصف النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، وهذه القراءة التأويلية استمدت وجودها مما اقترن بسياق الحديث وحادثته أولاً ، ومن الحديث الثاني ثانياً ، لأننا نؤمن أنّ الأحاديث النبوية تُفسر بعضها بعضاً ، وتتسمُ بحركية تمليها العوامل الاجتماعية التي يراقبها النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وينطق ببعض أحاديثه على وفق ما تتطلبه تلك العوامل .

ولعلّ الذي قلناه يقودنا الى وصف القرآن الكريم لعلي ــ عليه السلام ــ بأنّه نفس النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في آية المباهلة ((فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)) آل عمران٦١، . وهذا ما فسّر به الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ أيضاً دلالة (أنفسنا) في الآية على أبيه ــ عليه السلام ــ حينما قال عن خروجهم الى المباهلة ((... فأخرج جدي معه من الأنفس أبي ومن البنين أنا وأخي الحسين ، ومن النساء أمي فاطمة ، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه))[١٨] ، ولو كان في السامعين من يحفظ تفسيراً لـ (أنفسنا في الآية غير ما ذكره الإمام ــ عليه السلام ــ لأعترض عليه ، وله من يؤيده بدعواه الكاذبة ، ممن سخّروا أنفسهم ، للتقليل من شأن الإمام ــ عليه السلام ــ . ومن هنا أجمع المفسرون على أنّ المراد بـ (أنفسنا) في الآية هو علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ.

يقول الشيخ الطوسي ((... وبقوله (وأنفسنا) ، أراد به نفسه ، ونفس علي ــ عليه السلام ــ إذ لم يحضر غيرهما بلا خلاف ، واذا جعله مثل نفسه وجب ألّا يدانيه أحد في الفضل ولا يقاربه))[١٩] ، وبناء عليه ، فإنّ إشارة القرآن هنا تشكل أسّاً من أسس العقيدة الإسلامية التي تجعل الإمامة التي يجسدها علي ــ عليه السلام ــ مرتبطة بالنبوة التي يمثلها النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ارتباط الروح بالجسد .

ويبقى عجز الحديث ((وأنت وليّ كل مؤمن ومؤمنة بعدي)) ، وهنا نقول ، إنّ بياننا لصدر الحديث كشف لنا بعضاً من المراد في عجزه هذا ، إذ أنّ التوحد في الخلق بين النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والإمام ــ عليه السلام ــ ، الذي أشرنا إليه ، يجعل ولاية النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ولاية لعلي ــ عليه السلام ــ ، وولاية النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ولاية مطلقة على الخلق بنصّ القرآن الكريم . قال تعالى ((النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ...)) الأحزاب٦ ، أي ((هو أولى بهم من أنفسهم))[٢٠] ، إذ يتعاضد هذان الحديثان لبيان ولاية أمير المؤمنين مع ملاحظة أنّ ثمة مقصداً غير متوارٍ ، أغرانا بالربط بين الحديثين ، وهو إن الحديث الذي نحن بصدده ، بيّن ولاية الإمام علي ــ عليه السلام ــ منذ الهجرة ، ثم جاء حديث الغدير ليؤكد ما قرّ في نفوس المسلمين من هذا الحديث .

ولعل الاستعانة بالمعاني اللغوية للجذر (ولي) ، تؤدي ما قررناه هنا ، وستمتّن ما وجهنا به الحديث النبوي الشريف ، وتقطع بقوة الحجة ، فالولاية في الاستعمال الاجتماعي تعني ((التدبير والقدرة والفعل ... والوالي الذي يلي عليك أمرك))[٢١] ، والتدبير والقدرة والفعل مما أعطاه الله عز وجل لنبيّه فصار يلي أمور المسلمين ، وبحديثه صار علياً ــ عليه السلام ــ يلي هذه الأمور . ويورد ابن منظور حديثاً آخر يعاضد حديث الولاية هذا ، وهو قوله ((من تولّاني فليتولَ علياً))[٢٢] ، وهذا الأمر من النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ للمؤمنين . يُشكل بياناً نامياً لولاية علي ــ عليه السلام ــ على المؤمنين ، وهنا لم يبق مسوّغ لأن يُلتفت الى ما قاله ثعلب من أنّ الولاية هنا تعني المحبة والطاعة فقط [٢٣] . إذ لا يصح أن تقصر معناها على وجهين فقط ، وندع الوجه الذي تكفلنا ببيانه فيما سبق .

وثمة قول آخر للإمام الحسن ــ عليه السلام ــ في حقّ أبيه ، يعطي بياناً واضحاً لحق الولاية المطلقة ، يقول فيه مخاطباً أهل الكوفة ((... أما بعد فإنّ عليّاً باب من دخله كان آمناً ومن خرج منه كان كافراً))[٢٤] ، نعم إنّ الدخول من باب علي هو الإيمان المطلق ، والدخول هنا يعني التسليم والطاعة والخضوع والامتثال والتوجه والمحبة والتعظيم والانقياد والتأسي له ــ عليه السلام ــ ، عن وعي وقصد ، وهذا كلّه سُيشعر صاحبه بالطمأنينة والأمان ، ويُبعده عن التردد والحيرة ، ويكون بذلك سلّم أمره بيد وليّه ، لأنّ هذا الذي نقوله لا يكون إلّا لمن يتولى الأمر ويمتلك (القدرة والتدبير والفعل) ـــ كما مرّ قبل قليل ـــ .

أما من يخرج من هذا الباب فسيكون كافراً . لأنّ فطرة الإنسان السليمة تضعه في باب علي ـــ عليه السلام ـــ الذي يفضي الى الإيمان المطلق . ومن هنا قال الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ ((ومن خرج منه)) . إذ الأصل أنْ يكون المسلم في دائرة الإيمان ، فإذا انحرف عن المسار وخرج من تلك الدائرة دخل دائرة الكفر . ومن هنا يكون الوازن الذي يوزن به إيمان المسلم هو ولاية علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ ، وهكذا تُعاد صياغة الولاية على وفق حديث الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ صياغة تعطينا بياناً جديداً ونحن ننظر في حديث مدينة العلم ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))[٢٥] ، إذ صار الدخول الى مدينة العلم دخول الى العلم الذي يفضي الى الإيمان ، وقد استشهد الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ـــ أيضاً ـــ بحديث مدينة العلم بمحضر أبيه ــ عليه السلام ــ ، إذ قال : ((... أيها الناس سمعت جدي رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ يول : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وهل يدخل المدينة إلّا من بابها)) ، وحينما نزل وثب علي ـــ عليه السلام ـــ فحملَه وضمّه الى صدره [٢٦] .

إنّ نظرة متأنية لما قام به الإمام علي ـــ عليه السلام ـــ تجاه الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ ، توضّح لنا إنّ اختيار هذا الحديث ، واخبار المسلمين به ، يُنبئ عن رغبة الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ في تبصيرهم بأنّ علياً ــ عليه السلام ـــ وحده صاحب هذا المقام الرباني ، ويدفعهم الى تجديد

معرفتهم به ، بعد أن وضع خصومهم روايات تتعارض مع ما جاء عن النبي ــ ﷺ ــ ، أو تشرك معه في فضائله من لا يملكها . ومن هنا يأتي انتقاء الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ لهذا الحديث والاستشهاد به ، ردّاً على من يفعل ذلك . لأنّ الدخول الى مدينة النبي ــ ﷺ ــ ، لا يصح إلّا من باب علي ــ عليه السلام ــ، وهذا الفضل لا يتصدر على غيره من الفضائل ـــ إن وجد عند غير علي ـــ ولا يوجد ، وهذه المرتبة لا تعلوها مرتبة ـــ إن وجدت عند غير علي ـــ ولا توجد .

إنّ هذه المرتبة الجليلة فضل من الله عز وجل أعطاه لعلي ــ عليه السلام ــ وهي من مصاديق قوله تعالى ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً)) النساء ٥٤ ، إذ أجمع المفسرون على أنها نزلت في علي ــ عليه السلام ــ [٢٧] .

ولا بأس من الإشارة هنا الى إنّ مضمون هذا الحديث ، ورد في حديث للإمام الرضا ــ عليه السلام ــ إذ قال ((إن علياً ــ عليه السلام ــ باب من أبواب الهدى ، فمن دخل من باب علي كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً))[٢٨] .

جهاد الإمام علي ــ عليه السلام ــ في الإسلام :

فتح المسلمون عيونهم على جهاد علي ــ عليه السلام ــ إذ أمضى عمره الشريف في الذّب عن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وعن الإسلام والمسلمين ، و ((لولا سيفه ما قام عمود الإسلام))[٢٩] ، كما نطق عمر بن الخطاب ــ حين عرّض واحد بذكر علي ــ عليه السلام ــ ، أمامه . وقد آثر الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، أن يبرّز مظاهر جهاد أبيه ــ عليه السلام ــ في الإسلام ، ليُبصّر من أنسمته أطماع الدنيا من المسلمين ، من جعلهم مع رسول الله ــ ﷺ ــ يملكون الدنيا ، ولكنهم جعلوا هذا الملك للدنيا نفسها وليس للآخرة . وقد حتّمت بعض المواقف على الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ أن يستحضر صور ذلك الجهاد ، ليميت الرغبة في نفس من يريد أن يجعل نفسه نداً لعلي ــ عليه السلام ــ . فضلاً عن إنّ تحرية جهاد أمير المؤمنين ، هي للمسلمين جميعاً ، ومن حقّهم أن يقفوا عليها ، ليأخذوا منه زاداً يعينهم على الثبات على مبادئهم ، دون ضعف أو خور أو هوان .

أشار الحسن ــ عليه السلام ــ الى صور من جهاد أبيه ــ عليه السلام ــ حينما خاطب أهل الكوفة ينفّرهم الى الإمام في وقعة الجمل ، فقال : ((أيها الناس ... إنا جئناكم ندعوكم ... الى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون ... قاتل معه وهم منهزمون ، وبارز وهم محجون))[٣٠].

فالإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، أراد بهذه الإشارة المقتضية المكثفة ، أن يعيد الى أذهان المسلمين في الكوفة ، بعضاً من مظاهر جهاد أبيه ــ عليه السلام ــ ، حينما شاء الله تعالى أنْ يكفي به نبيّه والناس متخاذلون ، وهذا يعني فيما يعنيه ، إنّ الله عز وجل ، كان عوناً له في جهاده وسيكون

عوناً له في المعركة المقبلة ، ومن يكون هذا شأنه ، يتوجب على المسلمين النهوض معه ، لأنه مسدّد من الله تعالى ، ومنصور به والسير على منهجه الربّاني نجاة لأنه بعين الله تعالى .

والشواهد على كفاية علي ــ عليه السلام ــ للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كثيرة ، وخاصة تلك التي تكفّل بها في بداية الدعوة الإسلامية ، إذ ظلّ علي ــ عليه السلام ــ ، يدفع عن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ شرور قريش ، والناس من حولهم تركوا نصرهم وعونهم ، وكأنّهم اكتفوا بما يقوم به علي ــ عليه السلام ــ وسنشير باقتضاب الى مظهرين جهاديين لعلي ــ عليه السلام ــ ، الأول : نتلمسه في غربة بني هاشم في شعب أبي طالب ـــ ثلاث سنين ـــ ((فكان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ اذا أخذ مضجعه ونامت العيون ، جاءه أبو طالب فأنهضه ، وأضجع علياً مكانه))[٣١] ، والثاني مبيته على فراش النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ليلة الهجرة ، تجسيد لهذا النمط من الجهاد ، إذ كان القتل بسيوف قريش حتمياً في هذه الليلة ، ولكنّ عناية الله ـــ عز وجل ـــ حالت دون ذلك ، فسلم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم ــ وهاجر ، وسلم علي ــ عليه السلام ــ وهاجر .

ولا بد من الإشارة هنا الى أن تخاذل الناس عن نصرة النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ في هذه الحقبة ـــ التي نرجح أن الإمام الحسن ـــ عليه السلام ـــ يشير إليها ، لم يكن عن ضعف إيمان ، وإنما عن ضعف مادي ، لا يقوى معه أحد على مواجهة عناة قريش ، إلّا علي ـــ عليه السلام ـــ الذي وضع نفسه بين يدي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، في المواطن كلّها .

أما قوله ــ عليه السلام ـــ ((قاتل معه وهم منهزمون)) ، فيهدينا الى أنّ الأصل فيه ، القتال مع النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، والثبات في مواجهة الخصوم ، في مواقف الفزع ومقابلة الموت ، من دون أن يتسرب الى نفسه شيء من خور المنهزمين ، وهذا من اظهر مظاهر الثبات في العقيدة ، إذ تتكفّل قوة الإيمان بتطويع الإرادة لأتباعها ، و مواطن هزيمة الناس وثبات علي ـــ عليه السلام ـــ ، جليّة واضحة ، حفظها أهل السيرة والمؤرخون ، ولكننا سنعمد الى اقتباس نصّ للإمام جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ ، يصف فيه هزيمة الناس في معركة أحد ، يقول : ((... إنّ رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كسرت رباعيته ، وإنّ الناس ولّوا مصعدين في الوادي والرسول يدعوهم في أخراهم ، فأثابهم غماً بنعمٍ))[٣٢] ، وعليَّ ــ عليه السلام ــ يذبُّ عنه بسيفه ذي الفقار ولم يأبه بكثرة الجراحات التي أصيب بها ، وشكر الله تعالى على ثباته مع نبيّه ، فجاء وعد الله ـــ عز وجل ـــ في قوله ((... وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)) آل عمران١٤٤ ، لعلي ــ عليه السلام ــ ، وفاء منه جلّ شأنه لعباده المخلصين[٣٣] .

ونضع أيدينا على مشهد آخر ، قاتل فيه الإمام علي ــ عليه السلام ــ وانهزم الناس ، وذلك يوم (حنين) ، إذ مرّ المنهزمون برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لا يلوون على شيء ونادى خلفهم العباس

بن عبد المطلب ((يا أهل بيعة الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، الى أين تفرّون ، اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله ــ ﷺ ــ والقوم على وجوههم مدبرين))[٣٤] ، وبقي علي ــ عليه السلام ــ ومعه الراية يقاتلهم في تسعة من بني هاشم وعاشرهم أيمن بن أم أيمن[٣٥] . ثم كتب الله النصر للمسلمين ، وكانت هزيمة هوازن .

ويلتقط الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ مشهداً آخر من جهاد أبيه ــ عليه السلام ــ في الجزء الأخير من قوله السابق ((... وبارز معه وهم محجون)) ، ولو استشرنا كتب السيرة والتاريخ عن احجام المسلمين و إقدام علي ــ عليه السلام ــ ، لأمدتنا باحجامهم عن مبارزة (عمرو بن ود العامري) يوم الخندق ، وخروج الإمام ــ عليه السلام ــ إليه ، ومبارزته و قتله وكان النصر معقوداً بسيفه [٣٦] ، ولأمدتنا أيضاً ، بمبارزة الإمام لمرحب اليهودي وقتله حين نكص المسلمون عن مبارزته ، هيبة وخوفاً ، وكان النصر مفتوحاً بفتح باب خيبر بيده ــ عليه السلام ــ [٣٧].

ولعلنا لا نجافي الحقيقة ، اذا قلنا أن الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، أراد أن ينبأ المسلمين من أهل الكوفة ، إنّ النصر مع علي ــ عليه السلام ــ ونهوضهم معه يكسبهم خير الدنيا والآخرة . ويخلص الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ الى حقيقة ، يعرفها المسلمون ، وهي أن نصر الإمام علي ــ عليه السلام ــ هو نصر لدين الله ـــ عز وجل ـــ ، لأنّه كان ساعد النبي ــ ﷺ ــ في تثبيت الدين ، على النحو الذي بسطه في بيان جهاده ، فقال ((أما والله لئن لم تنصروه لينصرنه الله ، يتبعه من المهاجرين والأنصار وسائر الناس ، فانصروا ربكم ينصركم))[٣٨] ، ولكي يدخل الإمام ــ عليه السلام ــ اليأس الى نفوس المرجفين الذين يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى في نصرة الإمام ــ عليه السلام ــ ، لفت أنظارهم الى أنّ الله تعالى سينصره بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ثم أمر الجميع بنصر الله تعالى حتى ينصرهم ، مستحضراً هنا قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّـهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)) محمد٧ ، ونصرُ الله تعالى هنا يعني الانقياد للحق الذي يمثله الإمام علي ــ عليه السلام ــ ، والنفور الى نصرته ، وهو الجهاد الحق الذي فرضه الله على عباده ، والذي وصفه الإمام علي ــ عليه السلام ــ بقوله ((إن الله فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره ، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به))[٣٩] .

ويُجمل الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ الجهاد مع أبيه ــ عليه السلام ــ بقوله : ((فطوبى لمن خفّ في مجاهدة من جاهده ، فإنّ الجهاد معه كالجهاد مع النبي ــ ﷺ ــ))[٤٠] .

فمراد الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ من الجهاد هنا لا يقتصرُ على الجهاد بالسيف ومقارعة الخصوم على أهمية هذا الوجه ، وإنما الأصل في الجهاد السير على منهج النبي ــ ﷺ ــ ، فمن يرى نفسه مسلماً ، يحتم عليه أسلامه أنْ ينهض مع الإمام ــ عليه السلام ــ لمواجهة الخصوم ،

فيكون الجهاد بالسيف نتيجةً وليس هدفاً ، من جهة ، ووسيلة الى هدف من جهة أخرى ، واستناداً الى هذا ، صار الجهاد مع الإمام ــ عليه السلام ــ استمراراً لجهاد النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من أجل بسط الإسلام على من خرج عليه تحت أية دعوى .

وبهذا حقق الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ أمرين في آنٍ معاً ، دعوة الناس الى النهوض مع الإمام ــ عليه السلام ــ ، والثاني : تبصيرهم بأن التقصير في النهوض أو التخلي عنه ، يشبه تخلي أولئك الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، في قوله تعالى ((فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ)) التوبة ٨١ .

وليس من شك في أنّ من يسمع كلام الحسن ــ عليه السلام ــ ، سيستظهر منه ما أشرنا إليه بحكم معرفته المسبقة بموقع الإمام علي ــ عليه السلام ــ من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وستكون هذه الإشارات الحسنية علامة ودليلاً على الباطن الذي يختبئ خلفها ، والذي تأولناه قبل قليل .

ويستذكر الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ جهاد أبيه في موقف آخر ، فرضه عليه معاوية بن أبي سفيان وكان معه عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان ، إذ أغراهم سلطانهم بالتحرش بالإمام الحسن ــ عليه السلام ــ للتقليل من شأنه ــ حاشاه ــ ، فتفاخروا معه ، فقال في بعض كلامه يذكر أباه ــ عليه السلام ــ ((... ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يوم بدر))[٤١] .

استحضر الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ هنا واقعة تاريخية ، يعرفها جميع المسلمين ، وهي أنّ رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أعطى الراية لعلي ــ عليه السلام ــ يوم بدر وعمره عشرون سنة[٤٢] . والراية عند العرب والمسلمين علم الجيش وشرف المقاتلين ، ويقال لها أم الحرب ــ أي أن الحرب تبدأ بها إذا نشرت وتنتهي إذا طويت ((وهي التي يتولاها صاحب الحرب))[٤٣] ، ويقاتل عليها ويميل المقاتلة اليها ، وبقاؤها ثابتة تصفعها الرياح ، ثبات للمقاتلين واسناد لهم ، ومعاضدة لزحفهم الى الخصوم ، وقد وفّى علي ــ عليه السلام ــ بهذا كلّه ، إذ قتل من المشركين ستاً وثلاثين رجلاً ، وهذا العدد نصف ما قتل المسلمون كلّهم يوم بدر[٤٤] .

وظني أنّ الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ باختياره الإشارة هذه ، أراد أن يذكر الحاضرين بما فعله الإمام علي ــ عليه السلام ــ يوم بدر بأسلافهم ، إذ قتل الوليد بن عتبة وشارك حمزة في قتل عتبة ، وقتل عقبة بن أبي معيط صبراً بأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ .

وإلى هذا بعينه ، أشار الحسن ــ عليه السلام ــ في موقف آخر بوضوح تام ، بعد أن رأى أن التعريض غير مجدٍ مع هؤلاء الخصوم ، فكان لابُد من تعريتهم أمام المسلمين ، فقال لعتبة بن أبي

سفيان : ((... وكيف ألومك على بغض علي ــ عليه السلام ــ ، وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر ، وشرك حمزة في قتل جدك عتبة وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد))[٤٥].

إن هذا التصريح بفعل علي ــ عليه السلام ــ يوم بدر ، كاف ليومض في ذاكرة المتلقين ، ويدفعهم الى استحضار يوم بدر ، ومقام علي ــ عليه السلام ــ فيه ، ثم ما فعله المسلمون كلهم في هذا اليوم حيث كانت راية الشرك بيد أبي سفيان وابنه معاوية كما ذكرهم الحسن ــ عليه السلام ــ في هذا الموقف ذاته ، وراية الإيمان بيد علي ــ عليه السلام ــ ــــ كما مرّ ــــ إذ صارت عنواناً للنصر كله .

وبناء على هذا نقول ، إنّ كلام الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ هذا ــــ لا يقتصر أثره على خصومه أصحاب المفاخرة فقط ، وإنما سيدفع الحاضرين ومن يسمع هذا الكلام بعد أنْ يروى ، الى التفكير فيما هم فيه ، ليروا بعد ذلك الى أيّة جهة يسيرون . ومن جملة ما يستحضرونه كلام للإمام علي ــ عليه السلام ــ نفسه ، وهو يشير الى هذه المآثر الخالدة في الإسلام ، إذ قال ((وقد علم المستحفظون من أصحاب رسول الله ــــ صلى الله عليه وآله وسلم ــــ أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط ، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال ، وتتأخر فيها الأقدام نجدة أكرمني الله بها)) .

واذا استحضر السامعون قول الإمام هذا ، وهذا ما أراده الإمام الحسن ــــ عليه السلام ــــ ، فسيطيلون النظر في (المستحفظون) ، لأنّ هذه اللفظة بدلالاتها تحتم عليهم أن يكونوا من هؤلاء اذا كانوا من الصحابة ، و يتمثلونهم اذا كانوا من التابعين ، فسيتمسكون بطريق علي ــ عليه السلام ــ لمعرفتهم التي يشير إليها الإمام ــ عليه السلام ــ ، وهذه النجدة التي أكرم بها الله عز وجل علياً ــ عليه السلام ــ يجملها الإسلام الحسن ــ عليه السلام ــ في قول آخر ، جاء فيه ((وكان رسول الله يوجهه برايته ، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه))[٤٦] .

إننا هنا لا يمكن أن نحمل إشارة الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ هذه على مساندة الملائكة المعنوية للإمام ــ عليه السلام ــ في حروبه لأنه يأتمر بأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ المسدّد من السماء ، وإنما نحملها على أمر واقع حقاً ، لأن تخصيص الملكين (جبرائيل وميكائيل) وهما من الملائكة المرقبين ، يحمل في ذاته تجاوزاً للمعطيات المعنوية ، ويدخل في إطار المساندة الحقيقية من هذين الملكين للإمام علي ــ عليه السلام ــ بتسديده وتوجيهه بأمر الله تعالى ، ولو لم يكن هذا البعد المعرفي حاضراً في أذهان المناوئين عصرئذٍ ، لردّوه على الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ وقد ردّوا عليه أمره بجهاد خصومه . فكيف يرضون بما يحدثهم به على هذا النحو إن لم يكن قد وقع حقاً ؟ ، لاشكّ أنّ مساندة جبرائيل وميكائيل للإمام علي ــ عليه السلام ــ من المسلمات التي تواترت معرفتها في ذلك العصر .

وقد ورد في أحاديث أهل البيت ــ عليهم السلام ــ ما قاله الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ فيما بعد ، فعن أبي عبد الله الصادق ــ عليه السلام ــ ، أنّه قال ((إنّ علياً ــ عليه السلام ــ كان يوم بني قريظة والنظير كان جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره يحدثّانه))[٤٧] ، ولا تعارض هنا بين الروايتين ، إذ أضافت الثانية لفظة (يحدثانه) ، وما من شك أنّ قول الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ينطوي على هذه اللفظة ، لأنّ مرافقة الملكين تستدعي هذا ، وإذا استحضرنا ما مرّ بنا من قبل أنّ النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال للإمام علي ــ عليه السلام ــ ((إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا أنك لست بنبي))[٤٨] ، على وفق قول الإمام علي ــ عليه السلام ــ نفسه ، تبيّن لنا دقة هذا التوجيه ، من إنّ المرافقة في هذه المواطن تستدعي كلاماً حتماً ، وما من شك ، إنّ الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ كان يريد هذا المعنى ــــ من جملة المعاني التي ينفتح عليها النص ــ ، لأنّ المتلقي يدرك ما يقدّمه السياق من دلالات تستنبط استنباطاً بقليل من الأناة ، لأنّ المعنى العام ينتج معاني فرعية تؤخذ من أجزائه[٤٩] .

غسل النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وتجهيزه :

يستحضر الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ مآثر أخرى من مآثر أبيه ــ عليه السلام ــ مع جدّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في ساعة احتضاره ووفاته ، وهذا الأمر لا يكون إلّا بتسخير من الله تعالى الذي منَّ على أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ بهذا الشرف .

فقد جعل الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ هذه المآثرة من الأسس المكينة التي يستند إليها ، وهو يدعو أهل الكوفة الى الخفوف الى نصرة أبيه ــ عليه السلام ــ في حرب الجمل ، لأنّه ــ عليه السلام ــ سيدحض بها حجة من لا يريد النهوض معه ، لأنّ خصومه في المعركة من (الصحابة) ، ، فيتقاعس ويقاعس غيره معه بحجة داحضة ، فإذا سمع هذا الكلام لم يبق عنده ما يتكأ عليه وهو يتباطئ عن نصرة الإمام ــ عليه السلام ــ ، فضلاً عمّا ينطوي عليه الحديث منن دلالات سنعرض لها فيما يأتي :

يقول الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ عن تولي أبيه ــ عليه السلام ــ أمر جده ((... ولم يزل رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ راضياً عنه حتى غمضّه بيده وغسله وحده والملائكة أعوانه))[٥٠] .

إن ما يستوقفنا في هذا القول أولاً ، إنّ الإمام علي ــ عليه السلام ــ كان آخر الناس عهداً برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في الحياة الدنيا ، وما من شك ، إنّ النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أخبر الإمام علياً ــ عليه السلام ــ بأنّه على وشك الرحيل الى الله تعالى ، وأمره أنْ يكون على هذا النحو من القرب المكاني ، لتتأكد من خلاله حقيقة القرب الروحي والنفسي بين الاثنين ، على نحو ما مرّ بنا في موضع سابق . فضلاً عن القرب الإجتماعي الذي جلته هذه اللحظة ــ أيضاً ــ ، بوصف الإمام ــ عليه السلام ــ أقرب الناس رحماً بالنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فهو أخوه حقّاً بأمر الله تعالى على وفق ما جاء في أحاديث النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في مثل قوله : ((... يا علي ، إنّ الله تعالى أمرني أن أتخذك أخاً ووصياً

، فأنت أخي ووصيي وخليفتي على أهلي في حياتي وبعد مماتي))[٥١] . وهكذا لا تبقى فرصة لاحتمال يناقض الحقيقة التي جسدها قرب أبيه من النبي ــ ﷺ ــ لحظة فراقه الدنيا ، وسيدفع هذا القول المتلقين آنئذٍ الى استجلاب قول الإمام عليه السلام ــ يتحدث عن هذه اللحظة ، إذ قال ((... ولقد قبض رسول الله ــ ﷺ ــ وإنّ رأسه لعلى صدري))[٥٢] ، وسيدفعهم أيضاً الى استبعاد ما سربه إليهم بعض الخصوم من إنّ غيره ــ عليه السلام ــ تولى أمر هذه اللحظات .

إنّ ما قاله الإمام ــ عليه السلام ــ تؤكده الأخبار الواردة في مصادر المسلمين المختلفة بطرق مختلفة ، واختلاف طرق وصول الخبر يؤكد تواتره وصدقه تماماً ، وإن كان كلام الإمام ــ عليه السلام ــ هو الصدق بعينه.

أما قوله ــ عليه السلام ــ ((وغسّله وحده والملائكة أعوانه)) . ففيه ما يشير الى إنّ الإمام ــ عليه السلام ــ تولى غُسل رسول الله ــ ﷺ ــ وحده ، ليستبعد مشاركة من حضروا معه في هذا الشرف ، إذ ذكرت بعض الروايات إنّ الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد كانا معه وقت تغسيل النبي ــ ﷺ ــ ، وليس لحظة الوفاة . وكانا يحجبانه ، يقول ابن سعد في طبقاته ((كان علي يغسّل النبي ــ ﷺ ــ والفضل وأسامة يحجبانه))[٥٣] ، وهذه الرواية تؤكد قول الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ من أنّ الإمام ــ عليه السلام ــ تولّى غسل النبي ــ ﷺ ــ وحده .

أما معونة الملائكة للإمام ــ عليه السلام ــ ، فيقرّرها لنا ما مرّ في البحث عن صلة الإمام ــ عليه السلام ــ بهم ، وأكد هذا المعنى الإمام علي ــ عليه السلام ــ نفسه من قبل ، إذ أحسّ بمعونة الملائكة له في غسل النبي ــ ﷺ ــ من خلال سهولة تقليب الجسد الطاهر ويُسره عليه ، إذ يقول((فما تناولت عضواً إلّا كأنّما يقلّبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله))[٥٤] ، أليست هذه معونة حقيقية للإمام ــ عليه السلام ــ ؟ أليست هي إرادة الله تعالى في أنْ لا يمس جسد نبيه إلّا علي ــ عليه السلام ــ ، وأنْ لا ينظر إليه غيره ؟ . نعم هكذا كان ، يؤيد هذا إنّ الفضل وأسامة كانا معصوبي العين ، حينما كانا يحجبان الإمام ــ عليه السلام ــ[٥٥] .

ويبقى من قول الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ السابق ((ثم أدخله حفرته وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره ، كل ذلك من منن الله عليه))[٥٦] .

إنّ هذا القول يقودنا طوعاً الى عطف أبصارنا مرة أخرى الى ما قررناه ، قبل قليل من إنّ الله تعالى شاء أن لا يمس جسد نبيه بعد وفاته غير علي ــ عليه السلام ــ ، تكريماً وتشريفاً وتمييزاً له من غيره من آل عبد المطلب ، وهم يعرفون هذا تماماً ، ولذا لم تحفظ لنا كتب التاريخ والسير أيّ اعتراض منهم على ما وكّل الى علي ــ عليه السلام ــ في هذه القضية .

فعلي ــ عليه السلام ــ إذاً ، كان آخر الناس ـــ مرة أخرى ـــ عهداً برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وهذا نفسه ذكره علي ــ عليه السلام ــ في جملة مناقب آخر ذكرها إذ قال ((... أنّي آخر الناس عهداً برسول الله ودليته في حفرته))[٥٧] . واستناداً الى هذا فلا مسوّغ لقبول القول إنّ المغيرة بن شعبة كان آخر الناس عهداً برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ على وفق الرواية الآتية التي تروى عنه إذ قال ((أنا آخر الناس عهداً برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لما دفن خرج علي من القبر ، ألقيت خاتمي فقلت يا أبا حسن خاتمي فقال أنزل فخذ حاجتك ، فنزلت فأخذت خاتمي فوضعت يدي على اللحد أو قال على اللبن وخرجت))[٥٨] .

يترتب على القراءة الأولية لهذه الرواية ، إنّ الإمام ــ عليه السلام ــ كان آخر من خرج من القبر الشريف ، بعد أنْ وضع النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في لحده ، وفصل اللحد عن شق القبر باللبن . أما ما فعله المغيرة فلا شأن له بدفن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، وإنما ألقى خاتمه ، واستأذن الولي ــ علي ــ عليه السلام ــ ليأخذه ، فأذن له ، ونزل في القبر فقط ، والنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ مسجى في لحده المفصول عن القبر باللبن ـــ فأخذ خاتمه وخرج .

ومن هنا فإنّ قول الحسن ــ عليه السلام ــ وما قاله الإمام ــ عليه السلام ــ نفسه من قبل يُبعد مدلول هذه الرواية التي أريد أن يكون صاحبها آخر الناس عهداً بالنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ .

أما قوله ــ عليه السلام ــ ((وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره)) ، فهو يثبت مرة أخرى ـــ أن الإمام ــ عليه السلام ــ ، كان وصي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في شؤونه كلّها ، ومن جملة هذه الشؤون قضاء الدين وإنجاز العداة ، وهذان الأمران مظهران من مظاهر الوصية التي ينهض بها الوصي الشرعي في الإسلام ، وعلي ــ عليه السلام ــ هو الوصي الشرعي لرسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ . ونجد في الرواية الآتية بياناً آخر لكلام الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ ، إذ يُروى عن أم سلمة أنها قالت عن آخر الناس عهداً برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : ((... فأكب عليه علي ــ رضي الله عنه ــ ، فكان آخر الناس به عهداً يساره ويناجيه))[٥٩] ، و(ويساره ويناجيه) في النص ، تعني أنّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أوصاه بكل ما يريد بقضاء دينه وعداته وبأموره كلّها .

إنّ موطن الفخر بهذه المآثر التي ذكرها الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ هي من منن الله سبحانه وتعالى على عبده علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ إذ جعله المعني بإتمام مظاهر الحياة الدنيا لرسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بيده ، ومن ثم ليكون المتمم لها في حياته هو ، فهو إمتداد لابن عمّه في حفظ الإسلام الحنيف .

لقد تبيّن في صفحات هذا البحث ، إنّ الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ كان يستحضر في كل حين سيرة أبيه ــ عليه السلام ــ لأنّه وصي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وخليفته ليجعل هذه السيرة علماً

يهتدي به المسلمون في دقائق حياتهم كلّها ، وسبيلاً الى الرد على الخصوم الذين سعوا ويسعون الى تغييب الحقائق وأمكنهم ذلك ...

فحقق بذلك غنى فكرياً وعقائدياً وروحياً وأخلاقياً ، ينهل منه المسلمون في العصور كلّها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

(١) الاحتجاج ، الطبرسي (أحمد بن علي ت ٥٦٠ هـ) ، تحقيق السيد محمد باقر الخرسان ، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف .

(٢) الارشاد ، الشيخ المفيد ت ٤١٣هـ ، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث ، منشورات دار المفيد .

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى ، الطبرسي ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط١ ، قم ، ١٤١٧هـ .

(٤) أمالي الصدوق ، الشيخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ت ٣١٨هـ) ، قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ، ط ١ ، ١٤١٧هـ .

(٥) أمالي الطوسي ، الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق بهراد الجعفري وعلي أكبر غفاري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٨١هـ .

(٦) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٢م ، بيروت ـــ لبنان .

(٧) البداية والنهاية ، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ) ، دار الفكر ، عالم النشر ، ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٦م .

(٨) بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ، أبو محمد جعفر الصفار ت ٢٩٠هـ ، تقديم وتعليق الحاج ميرزا محسن (توجة باغي) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، طهران .

(٩) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨هـ) ، المكتبة التوفيقية .

(١٠) تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ه ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـــ لبنان .

(١١) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ت ٥٧١ه ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ه .

(١٢) التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي ، تحقيق وتعليق أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي .

(١٣) ترجمة الإمام الحسن ـ عليه السلام ـ ، ابن عساكر ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٠٠ه .

(١٤) تفسير الأصفى ، الفيض الكاشاني ت ١٠٩١ه ، تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، ط١ ، ١٤١٨م ، مكتب الاعلام الإسلامي .

(١٥) التفسير الصافي ، الفيض الكاشاني ، مؤسسة الهادي ، قم ، مكتبة الصدر ، طهران ، ط٢ ، ١٤١٦ه .
(١٦) تفسير القمي ، القمي (أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي ت ٣٢٩ه) ، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم ، ايران .
(١٧) تفسير نور الثقلين ، الشيخ الحويزي (عبد علي بن جمعة ت ١١٢٢ه) ، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة إسماعيليان ، ط٤ ، ١٤١٢ه ، قم ، ايران .
(١٨) التوحيد ، الشيخ الصدوق ، صححه وعلّق عليه السيد هاشم الحسيني الطهراني ، منشورات جماعة المدرسين ، قم ، ١٣٨٧ه .
(١٩) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، المزّي (جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ ، ١٤٠٦ه .
(٢٠) الخلاف ، الشيخ الطوسي ، تحقيق سيد علي الخراساني وصاحبيه ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٧ه ، قم ، ايران .
(٢١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، صدر الدين السيد علي خان المدني ت ١١٢٠ه ، ط٢ ، مكتبة بصيرتي ، ١٣٩٧ه ، قم ، ايران .
(٢٢) روضة الواعظين ، الفتال النيسابوري ت ٥٠٨ه ، تحقيق السيد محمد مهدي الخرسان ، منشورات الرضي ، قم ، ايران .
(٢٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لإبن هشام ، السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ت ٥٨١ه) ، تحقيق عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٢١ه ـــ ٢٠٠٠م ، بيروت .
(٢٤) سنن الترمذي ، الترمذي (محمد بن عيسى ت ٢٧٩ه) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان .
(٢٥) السنن الكبرى ، البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨ه) ، دار الفكر ، بيروت ــ لبنان .
(٢٦) السيرة النبوية ، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت ٧٤٧ه) ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٦ه ـــ ١٩٧١م ، بيروت .
(٢٧) سيرة النبي ، ابن هشام (محمد بن إسحق ت ١٥١ه) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٣٨٣ه ، القاهرة .
(٢٨) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ت ٣٦٣ه ، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ايران .
(٢٩) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ت ٦٥٦ ه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار ، دار إحياء الكتب العلمية –عيسى البابي الحلبي .
(٣٠) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت ، الحاكم الحسكاني ق٥ ، تحقيق الشيخ محمد باقر محمودي ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، ط١ ، ١٤١١ه .
(٣١) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦ه ، طبعة أوفيست ، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان .
(٣٢) الطبقات الكبرى ، ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ت ٢٣٠ه) ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨م .

(٣٣) علل الشرائع ، الشيخ الصدوق ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ،ـ ١٣٨٦ه ـــ ١٩٦٦م .
(٣٤) علم لغة النص : المفاهيم والاتجاهات ، د . سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٢٤ه ـــ ٢٠٠٤م .
(٣٥) العمدة ، ابن البطريق الأسدي ت نحو ٦٠٠ ه ، تحقيق جماعة المدرسين ، قم ، ط١ ، ١٤٠٧ه .
(٣٦) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ابن سيد الناس ت ٧٣٤ه ، مؤسسة عز الدين ١٤٠٦ ه .
(٣٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ه ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط٢ ، بيروت ـــ لبنان .
(٣٨) الفصول المختارة ، الشيخ المفيد ، تحقيق السيد مير علي شريفي ، دار المفيد ، ط٢ ، ١٤١٤ه ـــ ١٩٩٣م ، بيروت ـــ لبنان .
(٣٩) الكافي ، الكليني (ثقة الإسلام) ، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩ه ، تحقيق علي أكبر غفاري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران .
(٤٠) كشف الغمة في معرفة الأئمة ، أبو الفتح الأربلي (علي بن عيسى ت ٦٩٣ ه) ، دار الأضواء ، ١٤٠٥ه ـــ ١٩٨٥م ، بيروت ـــ لبنان .
(٤١) كنز الدقائق ، الميرزا محمد المشهدي القمي ت ١١٢٥ه ، تحقيق الحاج أقا مجتبى العراقي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، ط١ ، قم ١٤٠٧ه .
(٤٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المتقي الهندي (علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ت ٩٧٥ه) ، تحقيق الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـــ لبنان .
(٤٣) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان .
(٤٤) مسند أحمد ، أحمد بن حنبل ت ٢٤١ ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان .
(٤٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطبرسي ت ٥٦٠ه ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
(٤٦) المعجم الأوسط ، الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي ت ٣٦٠ه) ، تحقيق إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين .
(٤٧) المختصر النافع في فقه الإمامية ، المحقق الحلي ت ٦٧٦ه ، تحقيق الشيخ القمي ، مؤسسة البعثة ، طهران ، طبعة دار التقريب ، القاهرة ، ١٤١٠ه .
(٤٨) من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق ، تحقيق علي أكبر غفاري ، جماعة المدرسين ، ط٢ ، قم ، ١٤٠٤ه .
(٤٩) الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ت ١٤٠٢ه ، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين ، قم ، إيران .
(٥٠) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، الشيخ الحر العاملي ت ١١٠٤ه ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط٢ ، مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٤ ه ، ايران .
(٥١) وقعة الجمل ، ضامر بن شدقم المدني ت ١١٨٢ه ، تحقيق السيد تحسين آل شبيب الموسوي ، ط١ ، ١٤٢٠ه .
(٥٢) ينابيع المودة لذوي القربى ، القندوزي (الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ت ١٢٩٤ه) ، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني ، دار الأسوة ، ط١ ، ١٤١٦ه .

الهوامش

(١) شرح نهج البلاغة ١٢/١٤ ، وينظر الدرجات الرفيعة ٢٦٥ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ١٨١/٢ ، وقعة الجمل ١١٤ .
(٣) ينابيع المودة ٣٦٧/٣ .
(٤) نهج البلاغة ١٥٨/٢ .
(٥) ينظر تفصيل ذلك في الميزان ٣٢٥/٢٠ .
(٦) الكافي ٣٣٩/٨ .
(٧) فرضت الصلاة على ما هي عليه اليوم في المدينة ، حين ظهرت الدعوة وقوي الإسلام ، وفرض الله على المسلمين الجهاد . ينظر من لا يحضره الفقيه ٤٥٥/١ ، علل الشرائع ٢٢٤/٢ ، وسائل الشيعة ٥٢/٤ .
(٨) سنن الترمذي ١٥٦/١ ، وينظر أيضاً المعجم الأوسط ٣٧٢/٢ ، الخلاف ٣٢٧/١ .
(٩) أمالي الصدوق ٧٣٩ ، التوحيد ٢٣ ، أمالي الطوسي ٥٢٩ ، وسائل الشيعة ١٧/٣ .
(١٠) ينظر تفسير القمي ٢٨/١ ، مجمع البيان ٤٧/١ ، الميزان ١٩١/١٢ .
(١١) ينظر صحيح البخاري ٧٤/٦ ، السنن الكبرى ٦/٩ ، التبيان ١٧١/١٠ .
(١٢) أمالي الصدوق ٥٩٧ ، وينظر أيضاً الفصول المختارة ١٧١ ، روضة الواعظين ٨٦ ، وسائل الشيعة ٢٨٨/٨ .
(١٣) الارشاد ٣١/١ ، الفصول المختارة ٢٦١ ، الاحتجاج ٢٠٦/١ .
(١٤) لسان العرب (صدق) .
(١٥) ينظر شواهد التنزيل ١٧٨/٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٥٩/٤٢ ، كشف الغمة ٣٣١/١ .
(١٦) أمالي الطوسي ٥٦٢ ، بحار الأنوار ١٤/١٠ ، وينظر مسند أحمد ٩٨/١ مع اختلاف في بعض التفاصيل . وتنظر تفاصيل القصة في شرح الأخبار ٣٠٣/٣ ، كنز العمال ٥٧٨/٥ ، ينابيع المودة ٤٢/١ . وأوردنا القصة في المتن ، لأننا سنتكأ على تفاصيلها في قراءة قول الإمام الحسن ــ عليه السلام ــ والحديث النبوي .
(١٧) المستدرك ٦٣١ ، وينظر أيضاً المختصر ٩٧ ، العمدة ٩١ ، شرح الأخبار ٢٢/١ .
(١٨) ينابيع المودة ٤١/١ .
(١٩) التبيان ٢/ ٤٨٤ ، وينظر أيضاً مجمع البيان ٣٠٨/٢ ، التفسير الأصفى ١٥٣/١ .
(٢٠) مجمع البيان ١٢١/٨ .
(٢١) لسان العرب (ولي) .
(٢٢) نفسه ، ولم أعثر على هذا الحديث إلّا في لسان العرب وتاريخ مدينة دمشق ٢٣٨/٤٢ .
(٢٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٣٨/٤٢ .
(٢٤) ترجمة الإمام الحسن ١٤٥ ، كشف الغمة ١٩٥/٢ ، بحار الأنوار ٣٥١/٤٣ .
(٢٥) الاختصاص ٢٢٨ ، الاحتجاج ١٠٢/١ ، مناقب آل أبي طالب ٣١٤/١ .
(٢٦) التوحيد ٣٠٧ .
(٢٧) ينظر الكافي ٢٠٥/١ ، أمالي الصدوق ٣١٨ ، الاحتجاج ٢٣٠/٢ .
(٢٨) الكافي ٢٨٨/٢ .

(٢٩) شرح نهج البلاغة ٨٢/١٢ .
(٣٠) م . ن ١١/١٤ .
(٣١) مناقب آل أبي طالب ٥٨/١ .
(٣٢) تفسير نور الثقلين ٤٠٢/١ ، وينظر بحار الأنوار ٩١/٣٠ ، كنز الدقائق ٢٦١/٣ .
(٣٣) تفسير الصافي ٣٨٩/١ ، تفسير الأصفى ١٧٥/١ ، مناقب آل أبي طالب ٣٨٥/١ .
(٣٤) الارشاد ١٤٢/١ ، وينظر أيضاً إعلام الورى ٣٨٧/١ .
(٣٥) تاريخ الطبري ٣٤٧/٢ ، البداية والنهاية ٣٨٩/٤ .
(٣٦) تاريخ الطبري ٢٣٩/٢ ، سيرة ابن كثير ٢٠٢/٢ ، البداية والنهاية ١٣٠/٤ .
(٣٧) سيرة ابن هشام ٣٣٤/٢ ، الروض الأنف ٥٠٥/٦ ، تاريخ الاسلام ٢٣٤/٢ .
(٣٨) وقعة الجمل ١٣٣ .
(٣٩) وسائل الشيعة ١٥/١٥ .
(٤٠) وقعة الجمل ١٤٢ .
(٤١) شرح نهج البلاغة ٢٨٩/٦ .
(٤٢) ينظر عيون الأثر ٣٢٦/١ ، تهذيب الكمال ٤٨٢/٢ ، البداية والنهاية ٢٥/٧ .
(٤٣) فتح الباري ٨٩/٦ .
(٤٤) شرح نهج البلاغة ٢٤/١ ، بحار الأنوار ٣١٦/١٩ .
(٤٥) شرح نهج البلاغة ٢٩٣/٦ .
(٤٦) كشف الغمة ١٦٠/٢ .
(٤٧) بصائر الدرجات ٣٤١ ، الاختصاص ٢٨٦ .
(٤٨) ينظر علم لغة النص ٤٣ .
(٤٩) ينظر م . ن .
(٥٠) شرح نهج البلاغة ١٢/١٤
(٥١) أمالي الطوسي ٢٠٠ ، كشف الغمة ٢١/٢ .
(٥٢) نهج البلاغة ١٧٢/٢ .
(٥٣) الطبقات الكبرى ٢٧٧/٢ .
(٥٤) م .ن ٢٧٨/٢ .
(٥٥) نفسه
(٥٦) شرح نهج البلاغة ١٢/١٤ .
(٥٧) الخصال ٥٧٢ .
(٥٨) تاريخ مدينة دمشق ٢٩/٦٠ .
(٥٩) خصائص أمير المؤمنين ١٢٠ .